٥٢ ــ باب: في فضل الرجاء

قَالَ الله تَعَالَى إِخْباراً عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ [١]: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمرِي إلى الله إِنَّ الله بَصِيرٌ بِالْعِبادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَروا﴾.

٤٤٠ ــ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ

في ألفيته:

ورسموا منقطعاً عن رجل وفي الأصول رسمه بالمرسل

قال الشيخ العراقي في شرحها قلت: وفي كلام غير واحد من أهل الحديث أنه متصل في سنده مجهول، وحكاه الرشيد العطار في الغرر المجموعة عند الأكثرين واختاره شيخنا الحافظ أبو سعيد العلائي في كتاب جامع التحصيل، قال المصنف: وقد وقع في حاشية بعض النسخ المعتمدة. قال الخلودي: حدثنا محمد بن المسيب الأرعياني حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري بهذا الحديث عن أبي أسامة بإسناده ا هـ. وفي النكت على الأطراف للحافظ: وقع لنا أن مسلماً لم يسمعه من إبراهيم إنما سمعه من محمد بن المسيب عن إبراهيم، وأخرجه البزار في مسنده عن إبراهيم بن سعيد، وأخرجه أبو نعيم من طريق أبي يعلى وغيره عن إبراهيم بن سعيد ا هـ.

باب فضل الرجاء

أي: ما جاء فيه من الكتب والسنة. **(قال الله تعالى إخباراً)** أي: مخبراً، ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية بكون الإخبار من أنواع القول **(عن العبد الصالح)** هو مؤمن آل فرعون **(وأفوض أمري إلى الله)** أي: أسلمه إلى الله تعالى ليعصمني من كل سوء **(إن الله بصير بالعباد)** فيجزيهم وكأنه جواب بوعد[٢] المفهوم من قوله **(فوقاه الله سيآت ما مكروا)** شدائد مكرهم، وقال البيضاوي: وقيل الضمير لموسى.

٤٤٠ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي)** قال ابن الجوزي: أي: في الرجاء وأمل العفو. قال القاري في شرح الحصن الحصين: ويؤيده ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أمر الله بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت وقال: أما والله يا رب إن

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٤، ٤٥.
(٢) وفي نسخة توعد.

وَجلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بِـي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِـي، واللَّهِ، للَّهُ أَفرَحُ بتوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالفَلاةِ، وَمَنْ تقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْـراً تَقَرَّبْتُ إليـهِ ذِراعاً، وَمَنْ تَقَـرَّبَ إِلَيَّ ذِراعاً تَقَرَّبتُ إليه بَاعاً، وَإذا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقبَلْتُ إليهِ أُهَرْوِلُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وهَذَا لَفْظُ إحدَى روايات مُسْلِمٍ. وَتقَدَّمَ شرحُه فـي البابِ قبله. وَرُوِيَ فـي الصَّحيحَينِ: «وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يذكُرُنِي» بِالنون. .....

كان ظني بك لحسن، فقال الله: ردوه أنا عند ظن عبدي بي ذكره السيوطي في البدور السافرة، وعليه فالظن بمعناه أي: الطرف الراجح، وقيل: بمعنى اليقين، والمعنى أنا عند يقينه بي وعلمه بأن مصيره إلي وحسابه علي وأن ما قضيت له به من خير أو شر فلا مرد له لديّ. ﴿فائدة﴾ الظن في الشرع ينقسم إلى واجب كحسن الظن بالله تعالى، وإلى حرام كسوء الظن به تعالى، قال تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾[1] وبكل من ظاهره زيادة العدالة، ومندوب وهو حسن الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين، وجائز كظن السوء بمن وقف مواقف التهم **(وأنا معه)** أي: بالرحمة والتوفيق والإعانة والنصر **(حيث ذكرني)** بين الملأ أو في الخلاء **(والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته)** الذي هو في غاية الاحتياج إليها والاضطرار كما بينته رواية أخرى في الصحيح **(بالفلاة)** هي كما في المصباح الأرض التي لا ماء فيها وجمعها فلا. قال المصنف: قال العلماء: فرح الله هو رضاه، قال المازري: الفرح ينقسم إلى وجوه منها السرور، والسرور يقارنه الرضى بالمسرور به، والمراد هنا أن الله يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واحد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضى بالفرح تأكيداً لمعنى الرضى في نفس السامع ومبالغة في تقريره **(ومن تقرب إليّ)** أي: إلى فضلي ورحمتي بصالح العمل **(ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول. متفق عليه)** رواه البخاره في باب الرجاء ومسلم في باب التوبة **(وهذا لفظ إحدى روايات مسلم وتقدم شرحه)** أي: شرح قوله ومن تقرب إليّ إلخ الموهم ظاهره المكان وجواز الإعراض على الباري سبحانه **(في الباب قبله)** بما حاصله أنه مؤول بأن المراد بالتقرب إليه التقرب إلى فضله وإحسانه بصالح العمل، والمراد بتقربه تعالى من العامل إسباغ فضله عليه زيادة على قدر عمله **(وروي في الصحيحين)** أي: في رواية أخرى **(وأنا معه حين يذكرني بالنون)** فيكون منصوباً على الظرفية الزمانية **(و)** روي **(في هذه**

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٣.

وفي هَذِه الروايةِ «حَيْثُ» بالثَاءِ وكلاهمَا صحيحٌ(١).

٤٤١ ــ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عنهُ أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يقولُ: «لا يَمُوتَنَّ أَحدُكمْ إِلَّا وهُو يُحسِنُ الظَّنَّ بالله عَزَّ وجَل» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

الرواية بالثاء) أي: **المثلثة (وكلاهما)** أي: المرويين **(صحيح)** زاد في شرح مسلم بعد قوله صحيح: ظاهر المعنى، **وأفرد الخبر** باعتبار لفظ كلا وهو الأصح، قال تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾(٣) **ويجوز مطابقة معناهما** وقد اجتمع الاستعمالان في قوله:

كلاهما حين جد الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

٤٤١ ــ **(وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ)** أي: قبل موت النبي ﷺ بثلاثة أيام كما صرح به في مسلم **(يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن الظن بالله عز وجل) قال المصنف:** وفي رواية **وهو يحسن الظن بالله قال** العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة، **وقد سبق أنا عند ظن عبدي بي** قال العلماء: معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، **قالوا: وفي حال الصحة** يكون خائفاً راجياً، وسيأتي الخلاف في أنهما هل يكونان متساويين حينئذ أو لا؟ وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على إكثار الطاعة وصالح العمل، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده حديث «يبعث كل عبد على ما مات عليه» قال العلماء: معناه يبعث على الحال التي مات عليها. قال القرطبي: نهى أن يموتوا على غير حالة حسن الظن، وذلك ليس بمقدورهم بل المراد الأمر بتحسين الظن ليوافي الموت وهو عليه. اهـ. ونظيره قوله تعالى: ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(٤) وفي الديباجة للدميري في مروج الذهب عن فقير بن مسكين، قال: دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾(١٣/ ٣٢٥، ٣٢٨). وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى (الحديث: ٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله... (الحديث: ٨١).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

٤٤٢ ــ وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «قَالَ الله تعالَى: يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَاكَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابن آدمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطايَا ثُمَّ لقيتَنِي لا تُشْرِكُ .....

ولكأس المنية شارباً ولا أدري إلى الجنة تسير روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها؟ وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ا هـ. وما يعزى للرافعي قوله:

إذا أمسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنوني أحبائي وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

٤٤٢ ــ (وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحد معين عدل إليه ليعلم من يتأتى نداؤه، وآدم عربي مشتق من أديم الأرض أي: وجهها وأصله أأدم بهمزتين وزن أفعل فأبدلت الثانية ألفاً ومنع الصرف للعلمية والوزن، وقيل: أعجمي وعليه فمنع صرفه للعلمية والعجمة وأضيف إليه المنادى للعموم؛ لأن إضافة المفرد تفيده فالنداء هنا لا يختص به منادى دون آخر **(إنك ما دعوتني ورجوتني)** أي: مدة دعائك إياي نفعاً وصلاحاً وتأميلك خير ما عندي **(غفرت لك ما كان منك)** أي: محوت ما كان من الذنوب منك كذنب الكفر بالإيمان وغيره بالاستغفار **(ولا أبالي)** بما كان منك منها عظم أو لا، وذلك لحسن رجاء العبد والله عند حسن ظن عبده به **(يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء)** أي: ما يملأ ما بينها وبين الأرض لو كان جسماً **(ثم استغفرتني)** أي: سألتني غفران ذلك **(غفرت لك)** إياها وذلك؛ لأنه تعالى كريم يقيل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال بالغ في الكثرة جيء به تنبيهاً على أن كرمه وفضله ورحمته لا تتناهى وأنها أكثر وأوسع مما ذكر **(يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض)** أي: ما يقارب ملأها **(خطايا)** جمع خطيئة، قال في الصحاح: وكان الأصل خطائي على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت ياء؛ لأن قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين ا هـ. **(ثم لقيتني لا تشرك**

بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً» رَوَاه التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حديْثٌ حَسَنٌ. «عَنَان السَّماءِ» بِفَتحِ العينِ قِيْلَ هو: مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَي ظَهَرَ إذا رفَعْتَ رَأسكَ، وَقِيلَ هو: السَّحاب. و«قُرابُ الأرضِ» بِضَمِّ القَاف، وقيلَ بِكسرها، والضَّم أصحُّ وأَشهَرُ وهوَ: مَا يُقارِبُ مِلأَها، والله أَعْلَم[1].

٥٣ ــ باب: في الجمع بين الخوف والرجاء

اعلم أَنَّ الْمُخْتَارَ لِلعَبْدِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ

بي) جملة في محل الحال من الفاعل **(شيئاً)** أي: من الشرك أو من المعبودات **(لأتيتك بقرابها مغفرة)** أي: لغفرتها لك وذلك؛ لأن الإيمان به تعالى شرط في العفو عن الذنب غير الشرك؛ لأنه أصل يبنى عليه قبول الطاعة والعفو عن المعصية، بخلاف الشرك إذ لا أصل معه يبنى عليه العفو عنه ولا بد أن يضم إلى الإيمان بالله تعالى الإيمان بنبيه محمد ﷺ وبما جاء به. هذا، والمراد من أتيتك غايته من المغفرة، أو إرادتها لاستحالته عليه وأتى به مشاكلة، والحديث من الأحاديث القدسية **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** زاد في الجامع بعد قوله: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الحافظ العلائي في الأربعين: «قلت»: يعني غريباً من جهة أنس، وقد روي من حديث ابن عباس وأبي ذر ثم أخرج حديث ابن عباس من طريق الطبراني وحديث أبي ذر من طريقين وقال بعد إخراجه: رواه الحافظ أبو عوانة في صحيحه «قلت»: وذكر السخاوي في تخريج الأربعين الحديث التي جمعها المصنف إن لحديث أنس طريقاً آخر غير طريق الترمذي عند ابن فنجويه[2] بنحو الحديث المذكور، وقال بعد تخريجه: سنده ضعيف والأول أصح **(عنان السماء بفتح العين)** المهملة وبنونين خفيفتين **(قيل هو ما عنّ)** بتشديد النون **(لك منها أي: ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل: هو السحاب)** هو ما اقتصر عليه صاحب المصباح المنير، وعبارته: العنان قيل: السحاب وزناً ومعنى الواحدة عنانة **(وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر، وهو ما يقارب ملأها)** تقدم الكلام من المصنف أوائل باب الرجاء، وتقدم ما يتعلق به من الشرح ثمة.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار... (الحديث: ٣٥٤٠).
(٢) بضم الجيم وفتح الياء.